نـهر ذيـاب تـاريخه وأسمـاؤه

Thiyab River: History and names

الباحث: حيدر عليّ الفتلاويّ

By Haider Alfatlawi

ملخّص البحث

يشتمل بحثي هذا على أربعة مباحث رئيسة، أوّلها هو قراءة تحليليَّة مختصرة لآراء المؤرّخين في نهر ذياب، ابتداءً من مرحلة نشوئه وتوسُّعه وتفرُّعاته الرئيسة التي استُخدمت فيما بعد للملاحة النهريَّة، وسُلِّط الضوء فيه على مَصبَّيه القديم والحديث، وتضمَّن المبحث الثاني مناقشة لتاريخ النهر، وريّ مدينتي (الحسكة وملوم)، وموقعه بالنسبة لنهر سورا القديم. وعرضنا في المبحث الثالث الأحداث المفصليَّة التي حاولت أن تغيِّر من حالة النهر، أو القرى المستوطنة على ضفافه، وكادت أن تغيِّر تاريخ المنطقة بالكامل؛ بسبب تغيير حالة النهر؛ وذلك لأنَّ هذه المتغيِّرات مهمَّة جدًّا للدراسة التاريخيَّة، وأوردتُ في المبحث الرابع أسماءه التي أُطلقت عليّه، وعلى تفرُّعاته الرئيسة في أزمان مختلفة، ابتداءً من العصر البابليِّ القديم، باستثناء الأسماء المناطقيَّة التي تُطلق عليّه بشكل مختلف؛ نسبةً للمنطقة التي يمرُّ بها، ثمَّ خلص البحث لأبرز النتائج التي توصَّل إليها.

الكلمات المفتاحيَّة: نهر ذياب، الحسكة، نهر السبل، نهر الجارور

Abstract

This research is classified into four sections. The first section is an analysis of historians' reviews on this river, starting from its foundation, enlargement and main estuaries that were used for navigation. This section sheds light on the old and new estuaries of Thiyab River. The second section discusses the history of the river and the irrigation of (Alhasakq and Lamloom) and the location of the river in relation to the old Sura river. The third section reviews the events that affected the river and the villages that lived near the river and were about to change the history of the whole region due to change in the river. Such changes were very important to historical investigations. The fourth section was concerned with the names of the river and main estuaries across different eras, starting from old Babylonian age, except the names of the locations where the river bypassed. The research, then, provided the main results.

Keywords: Thitab River, Hasaka, Alsubul River, Aljaroor River

المقدّمة

يُعدُّ البحث في الأنهار عالمًا جميلًا يحمل كثيرًا من الإثارة والتشويق؛ فهو يلقي الضوء على عشرات الأسماء الضائعة لتلك الأنهار، كما يعرّفنا على كثير من القرى والمدن الأثريَّة المندرسة، ويسلّط الضوء على معيشة أهلها وطبيعتهم وتاريخهم الغائب خلف غبار الأيّام في تلك الحياة التي ما تخيّلوا يومًا أن يسلّط أحد الضوءَ عليّها؛ ليكشف أسرارها للعلن؛ لذلك استشعرتُ ضرورة البحث في أسماء الأنهار، وأحببتُ أن يكون هذا مشروعي الخاصّ في تناول البحوث والمواضيع التاريخيَّة التي تعيد فهم تاريخ المنطقة بالكامل، فكان من أبرز ما أثار اهتمامي هو نهر ذياب، إذ دُوّنتْ قديمًا بعض أسمائه التي تُطلق عليّه في الموارد التاريخيَّة واللغويَّة، لذا شرعتُ بكتابة هذا البحث عنه؛ لكي لا تلتبس على القرّاء الأسماء المختلفة للنهر الواحد.

ومن هنا تبرز أهميَّة البحث وضرورته؛ لكونه يصحّح مجرى بعض الدراسات التاريخيَّة السابقة التي تناولته أحيانًا بأشكال خاطئة، ولكن ما يقابل هذه الضرورة للبحث التاريخيّ هو صعوبة البحث في هذا المجال؛ لقلّة المصادر التي تتناول طرح الأسماء المغايرة للنهر جملة واحدة، فهذا النمط من البحوث جديد في الواقع؛ لأنَّه يمزج بين التاريخ وتتبّع الأسماء وتحليلها، لذا ينبغي هنا على الباحث استخدام كلّ اسم على حِدَة، وإثبات ما إذا كان ينطبق عليّه أم لا، وهنا تكمن مرحلة أُخرى من مراحل صعوبة البحث في بعض الأسماء، إذ لا يتمّ اكتشاف صحّتها إلّا عن طريق دراسة المواقع الأثريَّة على جانبي النهر، أو تحليل المعلومات الواردة

في الخرائط القديمة. وعلى نحو العموم فهذا ما التزمته اليوم من المنهج البحثيّ لضرورته ما دمتُ أعمل في مجال أسماء الأنهار وتاريخها، ولا يفوتني هنا أن أتقدّم بالشكر والثناء لكلّ من أسهم معي في إنجاح بحثي هذا، ولو أنَّه أقلُّ ما يمكنني فعله، إلَّا أنَّه خير ما أملك.

المبحث الأوّل

قراءة لنهر ذياب في آراء المؤرّخين

أوّلًا: التعريف بنهر ذياب:

تُطلق تسمية نهر ذياب في الموارد التاريخيَّة على فرات (الحلّة – الديوانيّة)، وبالتحديد مقطعه المارّ بمدينة الديوانيّة، ابتداءً من نقطة اتّصاله بنهر الرمّاحيَّة، ويقع هذا المكان اليوم بالقرب من مدينة السنيَّة الحاليَّة. وكان هذا النهر في السابق يغذّي مدن الحسكة وللوم والسماوة والعديد من القرى التي تقع على جانبيه، حيث يتفرّع إلى فرعين رئيسين يُستخدمان للملاحة النهريَّة شمال مدينة للوم الأثريَّة، وجرت في هذين الفرعين أغلب الرحلات النهريَّة للسيّاح الأجانب وللمسافرين من أوّل البلد، ومن هنا تكمن أهمّيَّة نهر ذياب، إذ شكّل مع فروعه رافد البلاد الأوّل لهذه الرحلات[١].

ثانيًا: قراءة في آراء المؤرّخين لنهر ذياب:

روى المؤرّخون أنَّ نهر ذياب كان موجودًا أثناء وجود نهر الرمّاحيَّة، إذ كان يأخذ الماء من ضفّته الشرقيَّة، وجاءت تسميته بهذا الاسم أثناء المرحلة الأولى من تاريخه، تلك المرحلة التي كان بها فرعًا صغيرًا من فروع نهر الرمّاحيَّة التي تسقي الأراضي المجاورة، ويُعتقد أنَّ ذياب من قبيلة الأقرع؛ لأنَّ فيهم حمولة تُدعى (آل ذياب)[٢]. وبعد حفره هذا النهر في سنة (١٦٨٨م) – كما يرى بعض المؤرّخين[٣] –، طغى ماء الفرات في عام (١١١٢هـ/ ١٧٠٠م) حتّى تحوّل العمود الرئيس للفرات من مجرى نهر الرمّاحيَّة إلى مجرى نهر ذياب الذي قضى على نهر الرمّاحيَّة، وأخذ ماءه بالجملة، وكان خروج نهر ذياب فجأة حتّى ضُرب بخروجه المثل، فيقال: «طلع فلان طلعة نهر

ذياب. وهذا يقال لمن يقوى على غيره فجأة بعد أن كان ضعيفًا»[٤].

ولكنَّ الحقيقة تختلف تمامًا عن هذه الفجأة التي أُشير إليها، فعلى الرغم من ظهوره المفاجئ، واستفحال أمره المباغت كما يرى ذلك المؤرّخون، إلّا أنَّ نهر الرمّاحيَّة بقي مستمرًّا بالجريان، وعلى هذا نصّت كتب الرحلات، حيث مرَّ رجالها بهذا النهر بعد مدّة طويلة من تحوّله المشار إليه، وأكّدوا استمراره بالجريان الموسميّ، فذكر بعض المؤرّخين أنَّه اندرس تدريجيًّا بعد قرن من الزمن[٥].

وممَّا قيل أنَّ نهر ذياب لم يكن قبل عام (١١١٢هـ/ ١٧٠٠م) إلّا نهرًا لسقي الأراضي الزراعيَّة التي تنهل منه، وليس نهرًا بما تحمل الأنهار من الصفات عند الفراتيّين، وأقلُّ هذه الصفات أنَّه يسقي المدن والقرى، بالنظر إلى أنَّ حواضر العراق بأجمعها حواضر نهريَّة، فضفاف الأنهار هي ما تجذب الناس للبناء، والاستيطان، والزراعة في العراق، ومن ثمَّ فإنَّ نهر ذياب بوصفه نهرًا للسقي لا يمكن أن يحمل على ضفّتيه تاريخًا حضريًّا، إلا بعد أن تحوّل نهر الرمّاحيَّة إلى مجرى نهر ذياب ابتداءً من العام المشار إليه، فمن هنا إذن تبدأ مرحلة تاريخ النهر الحقيقيَّة، إذ ماتت الأراضي الزراعيَّة في مدينة الرمّاحيَّة؛ بسبب تحوّل مجرى النهر عنها، وهاجر سكّانها إلى مدينتي الحسكة وللوم الواقعتين في سقي نهر الفرات الجديد، وانتقل بسبب هذا التحوّل مركز اللواء من مدينة الرمّاحيَّة إلى بلدة الحسكة (الديوانيَّة الحاليَّة)، على يد والي بغداد مصطفى باشا دال طبان، وكان ذلك في ذي القعدة عام (١١١٣هـ/ ١٧٠١م)[٦].

ومنذ تحوّل مسار النهر في عام (١٧٠٠م) بسبب الفيضان، أخذ النهر بالاتّساع والاستقرار إلى أن صار طريقًا للملاحة النهريَّة، أمَّا نهر الرمّاحيَّة فلم يمت بالكامل، بل قلَّ ماؤه إلى أن صار نهرًا موسميًّا، يملؤه الماء متى ما طغى في نهر ذياب، وبقي على هذا الحال أكثر من قرن من الزمان تقريبًا، وهذا ما أشار له الرحّالة الألمانيُّ كارستن

نيبور، الذي زار الرمّاحيَّة بعد (٦٥ سنة) من تحوّل مجرى الفرات من نهر الرمّاحيَّة إلى نهر ذياب، إذ قال ما نصّه: «وبالقرب من الرمّاحيَّة يوجد جدول كبير يستقي مياهه من الفرات الواقع على مسافة ما يقرب واحد ونصف ميلا ألمانيًّا منه، ويصب هذا الجدول قرب السماوة في ذلك النهر ثانية. وقد كان ذلك الجدول إلى ما قبل بضع سنوات صالحًا للملاحة إلّا أنَّ مياهه الآن لا توجد إلا عندما يكون مستوى الماء في الفرات عاليًا للغاية، وقد كان في هذا الموسم جافًّا»[٧].

ثالثًا: تحليل رأي كارستن نيبور:

نُلاحظ من كلام الرحّالة كارستن نيبور أمورًا مهمّة:

الأوّل: أنَّه عدَّ العمود الرئيس هو نهر ذياب، أمَّا نهر الرمّاحيَّة فهو فرع منه؛ لأنَّه رأى أنَّ الجدول الموصوف كان ضيّقًا؛ لكثرة ما فيه من الطمى، فهو شبه مندرس. ويمكن الاستدلال على الاندثار التدريجيّ للنهر عن طريق زيارة السيّد نعمة الله الجزائريِّ إلى مدينة الرمّاحيَّة عام (١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م)، إذ أشار إلى أنَّه استأجر سفينة بمعيَّة رجل من أصحابه المجتهدين- كان قد ضافه لأيّامٍ قلائل- ثمَّ رحل الاثنان بهذه السفينة عبر نهر الرمّاحيَّة باتّجاه الجزائر- ناحية الجبايش والْمَدَيْنَة حاليًّا-، إذ أكّد أنَّ السفينة ما كانت تتحرّك فرسخًا أو فرسخين حتّى ترسو على الطين، ثُمّ تسير فرسخًا أو فرسخين وترسو مرّة أُخرى، وهكذا الأمر باستمرار إلى أن بلغوا قرية حرقوص- بالقرب من ناحية الشَّنَّافيَّة اليوم[٨]-، وهذا يدلُّ على أنَّ نهر الرمّاحيَّة بدأ بالاضمحلال التدريجيّ قبل عام (١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م)، أي: قبل تحوّل الفرات لمجرى نهر ذياب بأكثر من (٣٤ سنة)، وهذا يفسّر لنا كيفيَّة عدم استيعاب المجرى لكمّيَّة الماء في الفيضان المشار إليه، فقد يكون هذا الفيضان

هو نفسه الفيضان الطبيعيّ لنهر الفرات، إلّا أنَّ عدم استيعاب النهر هو ما سبّب تفاقم المشكلة كالعادة.

الثاني: أنَّه عدَّ النهر جاريًا حتّى عام (١٧٦٥م)، وهذا يعني أنَّ مدينة الرمّاحيَّة لم تكن تقاسي العطش لمئة سنة كما يقول بعض المؤرّخين[٩]. بل كان فيها نهر جارٍ، إلّا أنَّه موسميُّ الجريان وضعيف؛ بسبب كثرة الترسّبات الطينيَّة. والمنطق العلميّ يفترض أنَّه إن كان نهر ذياب أخذ الماء كاملًا وبالجملة من نهر الرمّاحيَّة، فما الذي يمنع نهر الرمّاحيَّة أن يأخذ جزءًا من الماء؟ هل كان يمنعه سدٌّ صخريٌّ، أو عوائق طبيعيَّة أُخرى من هذا القبيل؟ والمعلوم أنَّه لم يكن هناك مانع للماء من دخول مجرى الرمّاحيَّة، وحالته تشبه إلى حدٍّ ما حالة نهر اليوسفيَّة، الذي يبدأ بالنضوب في أوّل مواسم الجفاف، ثم يجري في أيام الفيضان؛ لقلّة الماء الذي كان يغذّيه عن طريق نهر ذياب الذي قلَّ ماؤه بالتدريج من عام (١٨٢٤م) إلى نضوبه بالكامل عام (١٨٨٥م)[١٠]. إذ مات نهر ذياب بالكامل، وتحوّل مجراه إلى نهر الهنديَّة في هذه السنة.

الثالث: قد يشتبه بعضٌ في هذا النهر إنَّ كان الرمّاحيَّة أو غيره، فهناك نهر ثالث يقع بين نهر ذياب الحاليِّ ونهر الرمّاحيَّة، يُلاحظ في خرائط المنطقة[١١]. ويبدو واضحًا أنَّه يأخذ من جنوب مدينة الديوانيَّة من منطقة تقع إلى الشمال الشرقيِّ من معسكر التدريب السابق جنوب غربيّ الديوانيَّة، وعلى الرغم من وجود هذا النهر إلّا أنَّني أعتقد أنَّ الرحّالة نيبور لم يكن يقصده بوصفه المذكور آنفًا؛ لأنَّه من جهة لا يصبُّ عند مدينة السماوة الحاليَّة، ومن جهة أُخرى لم يكن يُستخدم للملاحة النهريَّة كما تقدّم في وصفه. فضلًا عن ذلك فإنَّ النهر الأخير يصبُّ في هور يُسمَّى (أمّ الحسن) شمال غربيّ مدينة الحمزة الشرقيّ اليوم[١٢].

المبحث الثاني
تاريخ نهر ذياب من وجهة نظر جديدة

أوّلًا: ريّ مدينتي الحسكة وللوم:

يكمن الكشف عن تاريخ نهر ذياب حقيقة في دراسة تاريخ مدينتي الحسكة وللوم، من ناحية بدء نشأتهما، وليس من ناحية التطوّر إلى كونهما مدينتين كبيرتين، ولا يمكن دراسة تاريخ نشوء أيِّ مدينة من دون تسليط الضوء على ريّها.

أثار الباحثون موضوع ريِّ كلِّ واحدة من هاتين المدينتين على حدة، وحاولوا طرح آرائهم الاحتماليَّة لتفسير مشكلة الريِّ من دون الالتفات إلى مشكلة ريِّ المدينتين، لكن عندما نرجع إلى تاريخهما نلاحظ أنَّ الإشارات الأولى لتاريخ مدينة الحسكة نصّت على أنَّها من المدن التي أُسّست بعد خراب الكوفة، وهو ما ذهب إليه الشيخ حمود الساعديُّ[١٣]. وأكّد السيّد فيصل الميّاليُّ أنَّها كانت موجودة قبل عام (١٥٠٠م) وهو ما ذهب إليه لونكريك أيضًا[١٤].

ويرى الدكتور رجوان الميّاليُّ أنَّ الحسكة مُصِّرت في حدود عام (١٣٣٠م) على نحو التقريب، استنادًا على ما يُروى من أنَّ السيّد إبراهيم بن الحسن بن عليّ خان- الذي هاجر من الحجاز إلى العراق- كان يُلقَّب (بالحسكيِّ)، وقد جاء بعده ابنه السيّد موسى بن إبراهيم الحسكيّ، وبنى مدينة للوم في المدّة الواقعة بين عام (١٣٣٠ - ١٤٥٠م). واستدلَّ الدكتور الميّاليُّ أنَّ الحسكة كانت أسبق من تأسيس مدينة للوم بما لا يقلُّ عن خمسين عامًا. وهذا منطقيٌّ جدًّا، وهو ما أدّى إلى احتماله للتأريخ الذي ذكره في تأسيس المدينة[١٥].

أمَّا مدينة لملوم فهي من منشآت المدّة الواقعة بين عام (١٣٨٠-١٤٥٠م)[١٦].

وعن طريق طرح الفرق بين فتح نهر ذياب عام (١٦٨٨م) وبداية تمصير الحسكة عام (١٣٣٠م) بوصفها أقدم إشارة لها على الأقلِّ يتّضح لنا أنَّ مدينة الحسكة أقدم من نهر ذياب بحوالي (٣٥٨ عامًا)، وأنَّ نتيجة طرح الفرق بين تاريخ فتح نهر ذياب وأحدث تاريخ لتمصير مدينة لملوم وهو (١٤٥٠م) كانت (٢٣٨عامًا)، لذا كان حقًّا علينّا أن نسأل عن سقي هاتين المدينتين التاريخيّتين في هذه المدّة، فمن أين تأخذ هاتان المدينتان الماء للريِّ الذي كانت وما تزال تعيش عليّه المدن الفراتيَّة، علمًا أنَّ المدينتين تطوّرتا في مدّة ما قبل النهر ولم تضمحلّا، وبالتأكيد لا يوجد جواب شافٍ لهذه القضيَّة عند المؤرّخين؛ لأنَّهم لم يدمجوا ملاحظة فرق تأسيس المدينتين مع تاريخ فتح نهر ذياب معًا، بل حاول كلُّ مؤرّخ الاحتمال للمدينة التي يعمل على تاريخها، وبرأيي لا يمكن الفصل بين مدينتين تقعان على امتداد نهر واحد تعانيان من مشكلة واحدة بالرّيِّ، ولمَّا كان رأي الشيخ ودّاي العطيَّة يحتمل الإجابة أنَّ الحسكة كانت تأخذ حاجتها من الماء من نهر مندرس، كان قد رأى آثاره ماثلة وهو يقع بين نهر اليوسفيَّة المندرس، ونهر أبو وصايف المندرس أيضًا، وكان هذا النهر يأخذ من العمود الرئيس للفرات، وقال: «إذن لا يبعد أنَّ الحسكة كانت تستقي من هذا النهر كما هي واقعة عليّه مباشرة»[١٧]. وهذه الإجابة بالتأكيد قد تكون، أو لا تكون؛ لأنَّها قضيَّة احتمال كما قلنا، لأنَّنا نحتاج إلى معرفة تاريخ هذا النهر بالضبط، فقد لا يعود لسنة تأسيس الحسكة، إذ لا توجد لدينا نصوص تشير إلى تاريخه، ثُمَّ إنَّنا ينبغي أن نعلم بالضبط من أيِّ موقع أخذ هذا النهر من العمود الرئيس؟ ومن أيِّ عمود كان يقصد العطيَّة بالضبط؟ أهو عمود الفرات المارُّ بالرمّاحيَّة قبل التحوّل أم المقصود بالعمود نهر ذياب الحاليُّ؟

وهنا أرى أنَّ العطيَّة فاته أمر في غاية الأهمّيَّة، فنهر الفرات في مجراه البابليِّ القديم هو نفسه النهر الذي تحوّل إليه نهر ذياب الحاليّ، وهو الذي أشار إليه الدكتور أحمد سوسة، إذ كان يرى أنَّ نهر الفرات الرئيس كان قد تحوّل عن مجراه القديم صوب سيبار وكوثى ونيبور إلى مجرى جديد شرقًا محتلًّا نهر أراهتو (نهر بابل)، الذي كان يأخذ من الضفّة الغربيَّة لنهر الفرات القديم، ويمتدُّ إلى مدينتي كيش وبابل، متّبعًا بذلك مجرى شطِّ الحلّة الحاليَّ الذي يمرُّ بمدينتي الحلّة والديوانيَّة[١٨]، وكان ذلك في عهد (نور- أدد) ملك لارسا (١٨٦٥-١٨٥٠ق.م)، إذ حدث «فيضان عاتٍ خارق للعادة، يعدّ أشدّ الفيضانات التي شهدتها البلاد في تلك الأزمان، فأدّى هذا الفيضان إلى غرق منطقة سومر الجنوبيَّة كلّها، وتحوّل مجرى نهر الفرات إلى فرع بابل»[١٩]. وهذا النهر كانت آثاره ماثلة للعيان إلى مدّة قريبة من تحوّل نهر ذياب، ولربّما كان فيه ماء كما سنثبتُ ذلك لاحقًا، ومن هذا أقول: إنَّ النهر الذي وصفه العطيَّة لريِّ الحسكة إن كان يأخذ من فرات الرمّاحيَّة، فكيف اجتاز إذن آثار نهر الفرات من المجرى البابليِّ القديم؟ لأنَّه من المفترض أن يتقاطع معه في نقطة ما على العمود البابليِّ، أو أنَّه يصبُّ فيه على الأقلِّ، كما أرى أنَّ نهر اليوسفيَّة نهر قديم أيضًا، وله آثار ماثلة، وأنَّ المفروض بالنهر الذي وصفه الشيخ العطيَّة أن يتقاطع معه أيضًا في نقطة ما بالقرب من الحسكة، أو أنَّ النهر المذكور لا يصل اليوسفيَّة مطلقًا؛ لأنَّه منذ البدء كان يصبُّ في النهر البابليِّ كما قلنا، فنهر اليوسفيَّة كان يقع إلى الشمال من الحسكة، ويتّجه إلى جهة الشرق منها، ثمَّ ينعطف إلى الجنوب الشرقيّ كما هو معلوم، والنهر الذي وصفه العطيَّة كان يدخلها من الجهة الشرقيَّة على وجه التحديد، بناءً على أنَّ في غرب الحسكة تقع آثار نهريَّة لا يمكن تجاوزها، فلا يمكن وصول النهر إلى الحسكة من جهاتها الثلاث الغربيَّة والشماليَّة والشرقيَّة من دون عبوره آثار هذين النهرين، وهنا أرى أنَّ الأنهار كلّها التي شُوهِدت عيانًا أو ثُبِّتت

على الخرائط في هذا الموقع ما هي إلّا تفرّعات قديمة تخرج عن نهر ذياب نفسه، وتشير إلى أنَّ نهر ذياب أقدم من التاريخ المشار إليه عند المؤرّخين.

ومشكلة ريِّ الحسكة هي نفسها التي قد تُثار في ريِّ مدينة لملوم؛ لأنَّ هناك (٢٣٨ سنة) مفقودة فيها أخبار الرّيِّ لهذه المدينة، إلّا أنَّ السيّد فيصل الميّاليّ رحمه الله كان يرى أنَّ هذه المدينة تُسقى من ثلاثة مصادر هي:

أوّلًا: نهر صغير يُدعى الموصل، وهو يأخذ الماء من نهر الشوّاك.

ثانيًا: نهر آخر يتفرّع من نهر الشوّاك جنوب مدينة الشوّاك المندرسة حاليًّا[٢٠].

ومن هذين المصدرين يُلاحظ أنَّ الباحث الميّاليَّ رحمه الله فاتته القضيَّة نفسها، كما فاتت العطيَّة قبله، فكيف تجاوز هذان النهران آثار نهر الرملة؟ إذ تقع مدينة لملوم في نشأتها الأُولى على ضفّته الأُخرى؛ لأنَّ نهر الموصل كان يأتي باتّجاه المدينة من جهة الغرب، والنهر الآخر - بحسب وصف الباحث - كان يصعد من الجنوب الغربيِّ متجهًا نحو الشمال الشرقيِّ، أي: عكس اتّجاه انحدار الأرض، وهنا نلاحظ أنَّ نهر الرملة على تقاطع تامٍّ مع هذين النهرين، كما وجدتُ نهر الموصل يخرج مثلما وصفه الباحث بالضبط، إلا أنَّه يعود أدراجه ثانية، فيتّجه للغرب[٢١]. وأودُّ الإضافة هنا إلى أنَّ نهر أم الحسن القديم الذي ذكرناه سابقًا قد يكون رافدًا مهمًّا لنهر ذياب، حيث تضيع آثاره بالقرب من مرقد الحمزة، إلا أنَّه يتّجه باتّجاه أراضي عشيرة الأكرع قرية آل مرسول[٢٢].

وقد كان هذا النهر في السابق - كما أسلفنا - يأخذ ماءه من هور قديم يُسمّى (هور أمّ الحسن) الذي يغذّيه فرع من نهر ذياب مجهول الاسم عندنا، وفرع من فرات الرمّاحيَّة يُسمّى (نهر أمّ الحسن)، والظاهر أنَّ نهر الشوّاك القديم كان يأخذ

من الضفَّة الغربيَّة لهذا الهور، ويكمل نهر أمّ الحسن مسيره من الضفَّة الجنوبيَّة الشرقيَّة لهور (أمّ الحسن) إلى نهر ذياب[٢٣].

ثالثاً: أمَّا المصدر الآخر الذي ذكره الباحث الميّاليُّ فهو النهر الذي ذُكر في ريِّ مدينة الحسكة بين اليوسفيَّة وأبو وصايف نفسه، حيث تلتقي بقايا مياهه في الفرات البابليِّ، لتصل إلى لملوم عن طريق نهر الرملة نفسه[٢٤]، وهنا يؤكد الباحث رأينا القائل: إنَّ نهر الرملة موجود وقديم، وهو يتقاطع مع النهرين السابقين.

وبناءً على ذلك يمكننا القول: إنَّ نهر ذياب ما هو إلّا اسم لا نعرف مصدره حقًّا، فحين فاض النهر بشكل مدمّر في سنة (١٧٠٠م)، وكان فرات الرمّاحيَّة - بسبب كثرة الترسّبات التي فيه - لا يستطيع تصريف المياه، فأدّى ذلك بالضرورة إلى تحوّل الماء عن طريق المجرى البابليِّ القديم، وأُلحِقت بهذا المجرى تسمية نهر ذياب؛ بشكل غير معلوم. إذ لا نعرف أين هو نهر ذياب بالضبط؟ وكيف شاع اسمه في هذه المدّة؟ ولماذا أُلحق هذا الاسم بالمجرى البابليِّ؟ ولا أدلّ على ذلك من أنَّك لو تتبّعت نهر ذياب صعودًا باتّجاه السنيَّة ستجد نقطة تفرّع نهر الرمّاحيَّة من نهر ذياب فرات (الحلّة - الديوانيّة)، وهذا يعني أنَّ العمود كان نهر ذياب، والفرع هو الرمّاحيَّة، ولا توجد أيُّ قناة تربط بينهما.

إذن ينبغي أن نقول: إنَّ هاتين المدينتين كانتا تُروَيان من النهر البابليِّ نفسه وليس من غيره، وهذا بصرف النظر عن الروافد التي تصبُّ فيه، إلّا أنَّه قبل الفيضان المشار إليه، كان نهرًا فرعيًّا على هامش نهر الرمّاحيَّة، وكان مجهول التسمية، ومن الممكن أن يكون هذا النهر في سابق عهده، أي - مدّة ما قبل التحوّل - يُستخدم للتخلّص من المياه الزائدة في نهر الرمّاحيَّة، وهنا يكمن التاريخ الحقيقيُّ لنهر ذياب برأيي، ومن أبرز

الأدلّة على ذلك وجود عدد من الأنهار المندرسة التي كانت تأخذ من نهر ذياب نفسه (المجرى البابليِّ القديم)، إلّا أنَّها كانت قديمة واندرست.

ومن هذا أقول: إن كان النهر حديثًا - كما قال المؤرّخون - فكيف تكون له فروع مندرسة؟ ومن هذه الفروع نهر يُدعى نهر الكار أو الحار أو القار بحسب ما تذكره الخرائط القديمة على اختلاف أسمائه فيها؟

أمَّا ما يتعلّق بنهر الرملة فهو فرع قديم أيضًا، إذ تشير إلى هذه الحقيقة العديد من التلال الآثاريَّة الواقعة على ضفّتيه، التي تعود إلى العصور الساسانيَّة والبابليَّة المختلفة[٢٥].

ثانيًا: نهر ذياب عبر الأزمان التاريخيَّة

إنَّ قصّة تحوّل النهر عبر الفيضان العظيم في عصر الملك نور- أدد (١٨٦٥-١٨٥٠ ق.م)[٢٦] لم تقف عند هذا التحوّل، بل أعطت لهذا النهر بعدًا جديدًا لدراسته، إذ كان تحوّله الذي أمات فرع كوثى ونفر هو الذي أحيا بابل ونواحيها المستحدثة عبر الزمن الجديد، إذ انتقل الاستيطان تبعًا لتغيّر موقع النهر الجديد[٢٧]، ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ هذا النهر هو الذي كانت تعيش عليّه مدينة مرد[٢٨]، ويُذكر أنَّ الإسكندر الكبير (٣٣١-٣٢٣ ق.م)[٢٩] قام برحلة تتبَّعَ فيها مجاري الأنهار في سفينة نهريَّة انطلقت من بابل متّجهة نزولًا، أي نحو الجنوب[٣٠]، وباعتقادي أنَّه سلك هذا النهر نفسه؛ لأنَّه النهر الذي تعيش عليّه مدينة بابل في حينها، وهذا يشير إلى وجود النهر إبَّان حكم المقدونيّين، وأنَّه صالح للملاحة النهريَّة، ووصف النهر في هذه الرحلة بكونه نهرًا عظيمًا وعنيفًا، حيث أوجد على جانبيه الأهوار الواسعة والقنوات التي شكّلت متاهات عظيمة من القصب والماء إلى الحدِّ الذي تاه بعض

جنود الإسكندر فيها، واستمرّت رحلة هذا النهر مع الوجود بعد رحلة الإسكندر المقدونيِّ حتّى بلغ في هذا المجرى أكثر من (٢٠٠٠ سنة)، أي: حتّى أواخر العصر الساسانيِّ[٣١]، ففي عام (٦٢٧ - ٦٢٨م)[٣٢] حدث فيضان هائل في دجلة والفرات أدّى إلى تغيير مسار النهرين في الدلتا، ودمّر هذا الفيضان السدود، وجرّف الأنهار والقنوات التي كانت في طريقه، وحوّل المساحات الشاسعة التي بين الكوفة والبصرة إلى مستنقعات مائيَّة، عُرفت في العصر الإسلاميِّ باسم البطائح[٣٣]. أمَّا ما يتعلّق بفرع بابل الجديد الذي تحوّل المجرى الرئيس عنه إلى فرع الكوفة، حيث كان مصرفًا لنهر الفرات في أيّام الفيضان، فقد صار فرعًا ثانويًّا، أُطلق عليّه اسم (سورا)[٣٤]. ولمَّا وُصف سورا بالثانويِّ فهذه إشارة لبقاء الماء جاريًا فيه، إلّا أنَّ المجرى الرئيس للنهر هو الذي تحوّل عنه، وكان نهر الفرات يمرُّ بجوار مدينة الإسكندريَّة الحاليَّة، على مسافة (٣٠ كم) تقريبًا من جنوب صدر نهر كوثى، وينقسم على قسمين: الشرقيّ منهما نهر سورا، والغربيّ يحمل اسم الفرات، ويتّجه الأخير جنوبًا نحو الكوفة حيث يقع جسر الكوفة، ومن هناك ينتهي إلى البطائح «وأما سورا فكان يمر بإزاء مدينة قصر ابن هبيرة بينهما أقلّ من ميل، وهناك على النهر جسر وهو جسر سورا حيث تقع مدينة سورا»[٣٥]، وقصر ابن هبيرة هذا أشار إليه الدكتور أحمد سوسة ذاكرًا أنَّه كان قد نزله السفّاح واستتمّ تسقيف مقاصير فيه وزاد في بنائه وسمّاه الهاشميَّة[٣٦]. أي: إنَّ قصر ابن هبيرة هو مدينة الهاشميَّة القديمة، وبالقرب منها مدينة سورا القديمة وجسرها، ثُمَّ يستمرُّ النهر الرئيس في جريه شرقًا، وهنا ينبغي القول: إنَّ مدينة قصر ابن هبيرة وسورا القديمة مدينتان متجاورتان تقعان بالقرب من مدينة الهاشميَّة اليوم، وعلى ما أعتقد في جهتها الغربيَّة والجنوبيَّة الغربيَّة، ولمَّا كان نهر ذياب هو نهر سورا الأسفل نفسه كان لنا أن نتتبّع استمراره عن طريق تتبّع تاريخ مدينة سورا نفسها،

إذ كانت هذه المدينة من مدن اليهود المهمّة في العهدين الفارسيِّ والإسلاميِّ، وهذه إشارة إلى استمرار المدينة لهذين العهدين، كانت فيها مدرسة يهوديَّة كبرى، تخرّج فيها عدد كبير من العلماء وكبار الأحبار، وكانت مقرًّا لرأس الجالوت قبل أن ينتقل إلى بغداد[٣٧]، وأشار التطيليُّ إلى أنَّ سورا فيها «قبر الغاؤون سعديّة (سعيد بن يوسف الفيوميّ) رأس المثيبة في سورا (٨٩٢-٩٤٤م)، والربي صموئيل حفني الكاهن آخر رؤساء مثيبة سورا توفي سنة (١٠٣٤م)، وصفنية بن كوشى بن النبي جدلية، وقبور غيرهم من رؤساء الجالوت من آل الملك داود، ورؤساء المثيبة الذين عاشوا فيها قبل خرابها»[٣٨].

وهذا يعني أنَّ سورا بقيت مدينة عامرة من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر الميلاديّ، وأنَّ فيها نشاطًا ثقافيًّا لليهود، وهذه إشارة إلى أنَّ الأوضاع الاقتصاديَّة فيها كانت مزدهرة، فلا ثقافة من غير نشاط اقتصاديٍّ، وقد أكّد ذلك الدكتور سوسة بقوله: «وقد استمرت مثيبة سورا حوالي ٨٠٠ عام تمارس أعمالها حتّى أُغلقت سنة ١٠٣٠م على عهد الخليفة القادر بأمر الله، وعلى إثر ذلك انتقل مركز اليهود العلميُّ إلى الأندلس»[٣٩]، وأعتقد أنَّ مثيبة سورا لَمَّا أُغلقت في تلك السنة بقيت بعدها مدينة سورا قائمة، ويمكن لنا أيضًا تتبّع تاريخ النهر عن طريق تتبّع تاريخ مدينة قصر ابن هبيرة، تلك المدينة التي كانت في العهد الأُمويِّ قصرًا حوله دور قليلة، بناه يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاريُّ الغطفانيُّ عامل الخليفة الأُمويِّ مروان الثاني[٤٠]، وكان بينهما - مدينة القصر ونهر سورا - أقلُّ من ميل، وماء هذه المدينة من نهر يُدعى نهر أبي الرحا، يأخذ من سورا أعلى مدينة القصر، ويصبُّ فيه ثانية جنوبها[٤١]. وبقيت هذه المدينة إلى القرن الرابع الهجريِّ، أو العاشر الميلاديّ أكبر مدينة بين بغداد والكوفة، وهي هكذا حتّى بُنيت مدينة الحلّة في القرن السادس الهجريِّ، أو الثاني عشر الميلاديّ، إذ قلَّ

شأنها ببزوغ نجم مدينة الحلّة[٤٢] التي تقع على نهر سورا نفسه، ويبدو لي أنَّها خطفت الأنظار عن قصر ابن هبيرة، وهنا أرى أنَّ مدينة قصر ابن هبيرة لَمَّا قلَّ شأنها بعد القرن الثاني عشر الميلاديِّ؛ بسبب بزوغ نجم مدينة الحلّة لا يمكن أن تنطفئ فيها جذوة الحياة فجأة، بل ربَّما استمرّت حياتها إلى القرن الثالث عشر الميلاديّ، وهذا يعني أنَّ هناك مدّة تزامنت فيها المدينتان معًا، وكان السبب هو علوّ شأن الحلّة كما قيل؛ لأنَّها الأقرب إلى بغداد مكانيًّا، حيث إنَّ الحجّاج الوافدين إلى الكوفة لم يصلوا بعد تأسيس مدينة الحلّة إلى قصر ابن هبيرة ليعبروا جسر سورا، بل كان جسر الحلّة المعقود على مراكب أقرب إليهم كثيرًا من الطريق السابق، وهذا يعني أنَّ السبب الرئيس لازدهار مدينة الحلّة هو ازدهار تجارتها؛ لأنَّها تقع على طريق الحُجّاج، وهذا شأن المدن التي تزدهر بسبب وقوعها على طرق القوافل، وممَّا سبق فإنَّ اسم نهر سورا بقي مستمرًّا يُطلق على هذا النهر حتّى القرن الرابع الهجريِّ العاشر الميلاديِّ، ولَمَّا علا شأن الحلّة تُرك استعمال اسم نهر سورا تدريجيًّا[٤٣]، كما يمكن تتبّع تاريخ هذا النهر أيضًا عن طريق فروعه، ومنها فرع نرس الذي يأخذ من ضفّته اليسرى، وكان هذا النهر على ما يرى الدكتور أحمد سوسة يأخذ مجرى نهر الدغّارة الحاليّ الذي تقع عليّه بلدة عفك وتقع عليّه بلدة نرش التي كانت فيها مدرسة فقهيَّة لليهود[٤٤]، فكيف يكون نهر ذياب مندرسًا وأفرعه الرئيسة حيَّة، وعلى ضفافه قامت العديد من المدن الكبيرة، والقرى الصغيرة، والمحافل العلميَّة، والنشاطات الاقتصاديَّة، وطرق المارَّة.

ثالثًا: تحديد موقع نهر سورا

يرى سهراب أنَّ نهر سورا والفرع الشرقيِّ منه المُسمّى (نرس) يصبّان في نهر آخر يخرج من فرات الكوفة، يُدعى نهر البَداة، أو نهر البُداة بالقرب من بطائح نفر[٤٥]،

كما يرى ذلك كي لسترنج[٤٦]. وكنت أعتقد أنَّ هذه المعلومة دقيقة إلى حدٍّ ما؛ لأنَّي وجدت نهرًا يحمل بعض هذه الصفات، وهو نهر الشاميَّة الحاليُّ المارُّ بمدينة غمّاس، حيث كان ينشقُّ عن نهر الكوفة بالقرب من الموقع الذي أشاروا إليه – أي: من شمال مدينة الكوفة القديمة –، ثمَّ يلتقي بفرات الكوفة مرّة أُخرى قريب الشنّافيَّة، ويتّجه بعد ذلك إلى السماوة.

كان تحليل المعلومة التي ذكرها سهراب وكي لسترنج أنَّ نهر سورا هو نهر الحلّة الحاليّ نفسه إلّا أنَّه أتّخذ مجرى نهر الرمّاحيَّة طريقًا له، حيث إنَّ الفرات الرئيس هو فرات الكوفة في ما بعد عام (٦٢٧ –٦٢٨م)، إذ حدث الفيضان وفرعه الرمّاحيَّة، وبقي هكذا إلى سنة (١٦٨٨م)، إذ تحوّل الفرع من مجرى الرمّاحيَّة إلى مجرى نهر الحلّة الحاليِّ، ونهر سورا – الرمّاحيَّة – المشار إليه كان يصبُّ عن طريق مجرى نهر الهرد بالشنّافيَّة في فرات الكوفة؛ لأنَّ سهراب رأى أنَّ نهر سورا يصبُّ في نهر البداة، ولا يوجد أيُّ نهر عبر هذه الفترات التاريخيَّة يتفرّع من فرات الكوفة – من شمال المدينة القديمة – ويصبُّ في البطائح قرب نفر، وهذه قضيَّة منطقيَّة معروفة؛ لأنَّ انحدار الأرض هو الذي يتحكّم بجريان الأنهار واتّجاهاتها، فالأرض في الفرات الأوسط بشكل عامّ تتّجه بانحدارها من الشمال الغربيِّ إلى الجنوب الشرقيِّ، فكيف يجري نهر من أعلى بطائح الكوفة إلى نفر؛ لأنَّه بمسراه هذا لا يسير باتّجاه انحدار الأرض من جهة، وأنَّه يقطع عشرات الأنهار والأفرع القديمة التي تتعارض مع طريقه من جهة أُخرى، إلّا أنَّ ما أشاروا إليه من الصفات في نهر البداة تنطبق بشكل كبير على الفرع الشرقيِّ من نهر الكوفة الحاليِّ، وهو نهر الشاميَّة المارُّ بمدينة غمّاس القديمة كما قلنا، وهذا التحليل يأخذنا باتّجاه جديد، وهو أنَّ نهر سورا يأخذ طريق نهر الحلّة، إلّا أنَّه لا يصل إلى مدينتي الديوانيَّة والحمزة الشرقيِّ من مقطعه الجنوبيِّ، بل يتّخذ مجرى

فرات الرمّاحيَّة، وسيكون فرع سورا الشرقيُّ الذي أشار إليه المؤرّخون باسم (نرس) هو نهر ذياب الحاليّ، فلا تفسير لكلام سهراب وكي ليسترنج أكثر منطقيَّة من هذا، إلّا أنَّ كلامهما هذا يتعارض مع كلام العديد من الجغرافيّين، إذ لم يقرّ الإدريسيُّ[٤٧]، والجيهانيُّ[٤٨]، وأبو سعيد المغربيُّ[٤٩]، والبلخيُّ[٥٠]، والمقدسيُّ[٥١]، وابنُ حوقل[٥٢]، والإصطخريُّ[٥٣] ما يراه سهراب، فبعض هؤلاء رسم النهر في الخرائط وهو يصبُّ في بطائح الكوفة، وبعضهم الآخر جعله منسابًا لا يصبُّ في البطائح، ولا في نهر اسمه البداة، لذا فرأي ابن سرابيون يُعدُّ ضعيفًا إذا ما قورن بآراء الآخرين، ومن هذا أؤكّد أنَّ نهر سورا هو الفرات الحاليّ نفسه، وهو لا يصبُّ في نهر آخر يُدعى البداة، وقد يكون نهر الرمّاحيَّة فرعًا منه، وهو الذي يصبُّ في فرات الكوفة عن طريق مجرى الهرد؛ لكون فرع الرمّاحيَّة قديمًا جدًّا، فقد تُلاحظ الآثار الساسانيَّة والبابليَّة تنتشر على ضفافه كتلال خنيزيرات وغيرها، إلّا أنَّه نهر فرعيٌّ عن سورا لا أكثر.

المبحث الثالث

ملاحظات مهمّة عن نهر ذياب

أوّلًا: نقاط مفصليَّة في تاريخ نهر ذياب

لدراسة تاريخ نهر ذياب ينبغي معرفة النقاط المفصليَّة المتعلّقة بهذا الموضوع، ويمكن إيجازها بالآتي:

١. كان نهر الفرات - بمجراه البابليِّ القديم في مدّة من الزمن تمتدُّ من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر الميلاديّين - مجهول التاريخ والتسمية، إلى أن خُلِع عليّه اسم نهر ذياب، وحتّى تحوّل النهر من الرمّاحيَّة إلى المجرى البابليِّ القديم، طغى عليّه اسم نهر ذياب، فعُرف به وما زال يُعرف به إلى الآن في المصادر التاريخيَّة، إلّا أنَّ تاريخه بقي مجهولًا في المدّة التي أشرنا إليها.

٢. كانت هناك محاولة فاشلة لسدِّ هذا النهر، وتغيير مجراه إلى نهر اليوسفيَّة من الوالي مصطفى باشا(دال طبان)، إذ كلّف يوسف باشا بسدِّ نهر ذياب في (١١١٣هـ/ ١٧٠١م) أي بعد سنة واحدة من تحوّل النهر؛ للتأثير في رئيس الخزاعل سلمان بن عبّاس الذي سيطر على لواء الحسكة بعد الفيضان، ولكنَّ هذه الحملة لم تنجح في مسعاها[٥٤] في السنة المُشار إليها، بل استمرَّ نهر ذياب على مسيره الأوّل[٥٥]، على الرغم من وصول الماء بعد هذه السنة إلى نهر اليوسفيَّة، حتّى كان هذا النهر من أهمِّ فروع نهر ذياب.

٣. ويبدو أنَّ الفرات بحسب مشاهدة الرحّالة الإيطاليّ سيستيني الذي زار

المنطقة في ١٧٨١-١٧٨٢م كان ينقسم إلى قسمين رئيسين حتّى تكوّن للموم في أرض الجزيرة في وسط فرعي الفرات، وهذه الجزيرة يتمُّ الوصول إلى قلبها عن طريق قنوات مائيَّة، والظاهر أنَّ للموم لم تكن الجزيرة الوحيدة في المنطقة، بل كانت هناك جزر غيرها؛ لأنَّ هناك فروعًا كثيرة للأنهار التي تتفرّع عن نهر ذياب مشكّلة بعض الجزر الصغيرة التي تحيطها مياه الأنهر والأهوار من كلِّ جانب، إلّا أنَّها لم تكن رئيسة، وللموم كانت أكبر هذه الجزر، وهذا ما أشار إليه سيستيني، وكان فرعا الفرات الرئيسان صالحين للملاحة[٥٦]، وهذا يدلُّ على اتّصالهما بنقطةٍ ما جنوب للموم، وأشار إلى هذه التفرّعات الرحّالة كارستن نيبور، إذ قال: «والظاهر أنَّ للنهر فروعا عديدة هناك؛ لأنَّ عرضه لا يزيد أحيانًا على ٤٠-٥٠ قدمًا»[٥٧].

٤. إنَّ نهر ذياب كان سابقًا يصل إلى السماوة بعد التقائه بنهر العطشان، وكان يمثّل الطريق الرئيس للملاحة النهريَّة بين البصرة والحسكة، وإنَّ هذا الاتّصال يكون عن طريق التقاء نهر الرملة المندرس غرب مدينة للموم الأثريَّة بنهر الرمليِّ الذي هو الفرع الشرقيُّ من نهر ذياب، حيث يكوّن التقاؤهما نهرًا عظيمًا يُسمّى السبل، يتّصل بالسماوة بعد لقائه بنهر العطشان، إلّا أنَّ نهر ذياب انقطع جريانه عن نهر الرملة، واختار المجرى الشرقيَّ لأسباب عديدة أبرزها وجود سدّة في أعلى النهر سيأتي ذكرها بعدئذ، وفي الوقت الذي بدّل النهر مجراه لم يعد يتّصل بالسماوة، بل أنهى مجراه في مدينة الرميثة الحاليَّة.

٥. يمكن ملاحظة أنَّ مدينة للموم التاريخيَّة كانت آهلة بالسكان إلى (١٩١٣م)، ولكنَّها كانت قرية بسيطة ومتواضعة في هذه المدّة[٥٨]؛ لأنَّها بعد الطاعون

استقطبت من نجا من أهلها مرّة أُخرى؛ وعاد السكّان إليها بالتدريج، واستمرَّ التوافد الجزئيُّ إليها؛ لأنَّ هذه المدّة قلَّ فيها منسوب الماء في نهر ذياب، فكان التوافد إليها بطيئًا، إلّا أنَّ تحوّل النهر عنها إلى الجهة الشرقيَّة كان السبب المباشر الذي قضى على المدينة بالكامل، وأنهاها بشكل تدريجيٍّ أيضًا، إذ بدأ الناس بالانتقال إلى الضفّة الشرقيَّة من نهر العوجة الحاليِّ[٥٩].

ثانيًا: دراسة خاطئة عن مجرى النهر

يقول الدكتور متعب الريشاويُّ: «نهر ذياب يتشعّب .. من الجهة الغربية لناحية الرمّاحيَّة وأخذ يخترق ناحية الحسكة (الديوانيَّة حاليًّا) لعدم وجود سدود توجهه إلى الأراضي التي يمكن أن تستفيد منه وقد أغرق الكثير من الأراضي وحوّلها إلى أهوار، ويصل نهر ذياب إلى لملوم (الحمزة الشرقيّ حاليًّا) ثم يتجه غربًا ليلتقي بنهر العطشان أحد فروع الفرات في طوره الثالث ثم إلى نهر السوير ويمرّ قريبًا من آثار الوركاء في نهر الكريم ليعود ثانية إلى نهر الفرات»[٦٠]، يبدو لي من رأي الدكتور الريشاويِّ أنَّ اتّجاهات الشرق والغرب لا تصدق معه دائمًا، فلا أعلم كيف يأخذ نهر ذياب من الجهة الغربيَّة لناحية الرمّاحيَّة ثم يدخل الحسكة؟ علمًا أنَّ الحسكة تقع في الجهة الشرقيَّة بالنسبة لنهر الرمّاحيَّة، أليس الأجدر به أن يدخل الكوفة بدل الحسكة؛ لأنَّها تقع في جهته الغربيَّة، أمَّا من ناحية كونه يتّصل بنهر العطشان فهذا حقيقيٌّ كما أوردناه، ولكن من المستحيل أن يلتقي هذا النهر بنهر السوير، ويمرَّ بالقرب من آثار الوركاء وفي نهر الكريم، ثُمَّ يعود للفرات مرّة أُخرى كما وصفه، فكأنَّه حين يصف نهر ذياب بهذا الوصف لا يتحدّث عنه، بل عن نهر آخر، إذ لا يوجد دليل تاريخيٌّ يمكن الاعتماد عليّه في ما ذكره الدكتور الريشاويُّ، ولا اعتقد أنَّ تتبّع خطوط الأنهار المندرسة ومجاريها يوصلنا إلى هذه الحقيقة، فلذا لا أعتقد أنَّ الباحث أصاب الحقيقة.

المبحث الرابع

أسماء النهر في الموارد التاريخيَّة والآثاريَّة

أوّلًا: الأسماء المناطقيَّة:

هناك أسماء مناطقيَّة نكتفي بذكر بعضها؛ لأنَّها معروفة محلّيًّا، ونعني بالأسماء المناطقيَّة الأسماء التي تُطلق على النهر؛ لمروره بمنطقةٍ ما كمدينةٍ أو أرضٍ أو ما شابه ذلك، فتراه مثلًا يُسمّى نهر الحلّة، ونهر الهاشميَّة، ونهر الديوانيَّة، ونهر الحمزة الشرقيِّ، ونهر الرميثة؛ لمروره بهذه المدن وغير ذلك، فاسمه هنا يتبدّل تبعًا لمجرى النهر في المناطق التي يمرُّ بها(٦١).

ثانيًا: أسماؤه في الموارد التاريخيَّة والآثاريَّة:

١. نهر أراختو، ويُقرأ أحيانا أراهتو:

وهو الاسم الذي ذكره الدكتور أحمد سوسة للفرع الغربيِّ من مجرى الفرات القديم، حيث كان الفرات يمرُّ بسيبار، وكوثى، ونيبور وغيرها من المدن السومريَّة، وتحوّل بعد الفيضان الآنف الذكر إلى المجرى المغذّي لبابل وكيش، وبسبب كثرة السدود التي وُضعت داخل المجرى القديم، مثلما يرى ذلك الدكتور سوسة؛ ولعنف الفيضان المُشار إليه، فضلًا عن كمّيَّة الإرسابات الغرينيَّة التي ضيّقت مجرى النهر، وكوّنت مع تلك السدود حملًا آخر على مجراه، كانت هذه الأسباب مجتمعة هي التي أدّت إلى تحوّل النهر لمجراه الجديد(٦٢).

وفي رأيي أنَّ هذا الاسم لم يكن الاسم الأوّل الذي ذُكر في المصادر التاريخيَّة والآثاريَّة، إلّا أنَّه أوّل الأسماء الواصلة لنا من ذلك الزمن، إذ لم يذكر المؤرّخون أنَّ نهر أراختو هو نهر ذياب نفسه، أو حتّى نهر سورا، بل كان من المستبعد عندهم أن يكون نهر ذياب هو نهر أراختو؛ لأنَّهم وضعوا لنهر ذياب عام (١٦٨٨م) تأريخًا لولادته، فمن الطبيعيِّ أن لا يبحثوا عن تاريخ هذا النهر في تلك المدّة المتقدّمة من الزمن.

وممَّا تقدّم يمكننا القول: إنَّ نهر أراختو الذي كان فرعًا من الفرات القديم يمتدُّ إلى تاريخ أسبق بكثير من فترة الفيضان، وهذا يأخذنا إلى احتمال إمكانيَّة وجود أسماء أُخرى غير أراختو، إلّا أنَّها تحتاج إلى جهد أكبر ممَّا بذلنا، ومصادر تحاكي تلك المدّة، كما ينبغي الالتفات إلى ذكره في كثير من المصادر التاريخيَّة والآثاريَّة من دون الالتفات إلى كونه مازال جاريًا إلى الآن، فقد أشار إليه الدكتور عبّاس الحسينيُّ في بحث له عن مدينة مرد وآلهتها ترجم به نصًّا عن نبوخذ نصّر يذكر إصلاحاته للسور الممتدِّ على قناة أراختو الذي بناه أبوه[٦٣]. وذكره الباحث عامر عجاج، إذ أشار إلى وجوده في تلك المدّة بقوله: «هو نهر قديم جدا يرجع إلى أقدم العصور السومريّة والأكديّة كان يقع في المنطقة الأكديّة الساميّة فيأخذ من الضفة اليمنى لمجرى نهر الفرات القديمة في منطقة تقع بجوار مدينة (سبار) الساميّة ويمتدّ إلى الجنوب الشرقيّ بين عدّة قرى»[٦٤]. وأشار له الدكتور وليد الميّاليُّ بلفظ أراختوم إذ كان يرى أنَّه يتّجه إلى الشرق من بابل حتّى يصل إلى بورسبا (برس نمرود)، وتتفرّع منه قناة تُعرف باسم قناة أبكالا توم وتتّجه إلى الجنوب[٦٥].

٢. نهر سورا أو سوراء:

بدأ إطلاق هذا الاسم منذ نهاية العصر الساسانيّ إلى القرن الرابع الهجريّ أو العاشر الميلاديّ، حتّى علا شأن الحلّة المزيديَّة، إذ ترك معها استعمال اسم نهر سورا، وبدأت

مرحلة إطلاق اسم نهر الحلّة كما يرى ذلك كي لسترنج[٦٦]، إلّا أنَّ ذلك غير دقيق، فالحلّة المزيديَّة من منشآت القرن السادس الهجريّ أو الثاني عشر الميلاديّ كما قلنا، وهذا يعني أنَّ اسم سورا استمرَّ من العصر الساسانيّ إلى القرن الثاني عشر الميلاديّ، إذ بدأت الحلّة المزيديَّة، وبعدها نشأت الحسكة وملوم بالأزمنة التي ذكرناها، وهذا يشير إلى استمراريَّة النهر لمدّة سحيقة بالقدم خلاف ما يرى المؤرّخون من أنَّ هذا النهر حُفر في عام (١٦٨٨م)؛ لأنَّ هذه الأزمنة ينبغي أن تُضاف إلى مدّة (٢٠٠٠سنة) قبل الإسلام، ومن هنا يمكن تحديد عمر النهر بأربعة آلاف سنة متّصلة إلى الآن، من ضمنها مدّة تسميته بنهر سورا.

٣. نهر ذياب:

ذكره بهذا الاسم غير واحد من المؤرّخين، وهو الاسم الأشهر له، إذ ذكره الشيخ حمود الساعديُّ[٦٧]، والشيخ ودّاي العطيَّة[٦٨]، والشيخ محمّد رضا الشبيبيُّ[٦٩]، والدكتور متعب الريشاويُّ[٧٠]، وآخرون، وهذا الاسم أُطلق على النهر في مجراه البابليّ بعد الفيضان الحاصل عام (١٧٠٠م) ابتداءً من منطقة تفرّع نهر الرمّاحيَّة عنه إلى الأسفل، أي انَّه في نقطة ما أعلى هذا الموقع سيبقى على تسمية نهر الحلّة.

٤. نهر السبل:

أشار لهذا الاسم الشيخ ودّاي العطيَّة في تاريخه قائلًا: «إنَّ نهر ذياب أُبدل اسمه إلى نهر السبل مؤخرًا؛ لكثرة مرور السفن فيه (سابلة)»[٧١]. ومن دراسة هذا الاسم يتّضح لنا أنَّ السيّد فيصل الميّاليَّ يرى أنَّه المقطع الجنوبيُّ من نهر الرملة[٧٢]، والظاهر أنَّه عُمّم على النهر بالكامل.

٥. نهر الجارور:

قد لا نجد ذكرًا لهذا الاسم في المصادر التاريخيَّة، وهو غير مشهور عند المؤرّخين، إلّا أنَّ الشيخ محمّد رضا الغرّاويَّ أورده في الجزء الأوّل من المعجم، إذ أشار إلى أنَّ نهر الجارور هو نهر السبل[٧٣]. وقد تكون كلمة الجارور كلمة عامّيَّة مشتقّة من الفعل (جرَّ) العربيِّ الفصيح، وهو بمعنى(سحب)، إلّا أنَّها اشتُقت بطريقة ما في العامّيَّة على أنَّها صيغة مبالغة لحالة جرِّ السفن؛ فلأنَّه تُجرُّ فيه السفن بكثرة كان جارورًا لها؛ لأنَّ السفن في هذا النهر لا تجري بانسيابيَّة دائمًا، بل كانت تُجرُّ في أحايين كثيرة، ومن الممكن أيضًا أنَّها مشتقّة من صيغة المبالغة (جرّار) على وزن (فعَّال)؛ لكونه يجرُّ كثيرًا من السفن على طول مساره. حيث كان الطريق الرئيس للملاحة النهريَّة الذي يوصل المسافرين للحلّة والرمّاحيَّة والحسكة وغيرها من المدن، وبعد الوصول للرماحيَّة يرحل المسافر منها إلى النجف وكربلاء، ومن الحلّة إلى كربلاء وبغداد.

أسماء فرعي النهر الرئيسين اللذين يُستخدمان في الملاحة النهريَّة جنوب الديوانيَّة:

أودُّ أن أشير إلى نقطة مهمّة في هذا الجانب، وهي أنَّ نهر ذياب له أفرع كثيرة جدًّا، عدّها السيّد فيصل الميّاليُّ رحمه الله في كتابه عن مدينة الحمزة الشرقيِّ[٧٤]. وله روافد كثيرة تصبُّ فيه، إلّا أنَّني اقتصرتُ على ذكر تسمية فرعيه الرئيسين المستخدمين للملاحة النهريَّة في مدينة الحمزة الشرقيِّ، من دون فرع اليوسفيَّة عن عمد على الرغم من أهمّيّته؛ لأنَّي أفردتُ له بحثًا خاصًّا به؛ لاعتقادي بأنَّ هذا النهر له عمق تاريخيٌّ أكبر من العمر الذي دلّتنا عليّه المصادر التاريخيَّة الحديثة.

١. نهر الرملة:

قال السيّد فيصل الميّاليُّ رحمه الله: «إنَّ نهر ذياب بعد أن يتجاوز مدينة للوم العتيق بحوالي (١٠٠٠م) ينشطر النهر إلى شطرين رئيسين، الأول يتجه غربًا، باتجاه جنوب غرب مرقد السيّد محمّد بن الحسن الملقب بـ(عزيز الله) ومن هناك يعود بالاتّجاه الجنوبي الغربي وهنا يسمى (نهر الرملة) ويستمر جريانه باتجاه قريتي الهيمة والعادليات اللتين كانتا عبارة عن أهوار متلاطمة إلى أن يصل إلى منطقة (الحوطة). ومن هنا يبدأ النهر بتشكيل مجرى ذي ضفاف مرتفعة يسمى (شطّ السبل) شمال قرية طشّاش آل شايش»[٧٥].

ومن كلامه يتّضح أنَّ نهر الرملة هو أحد فرعي نهر ذياب الرئيسين، إلّا أنَّني اختلف معه في مكان تفرّع نهر ذياب إلى فرعين فقط، إذ قال: «إنَّ نهر ذياب بعد أن يتجاوز للوم العتيق بحوالي (١٠٠٠م) ينشطر»، وأرى أنَّه يتفرّع قبل دخول للوم بمسافة ربّما تعادل ما ذكره بالأمتار على نحو التقريب؛ لأنَّ الرحّالة سيستيني الذي زار هذه المنطقة أشار إلى أنَّ للوم هي جزيرة من مجموعة جزر، وقد سُمّيت هذه الجزيرة باسم للوم؛ نسبةً إلى قرية للوم التي كانت قائمة على اليابسة، وكانت بيوتها مشيّدة بالطابوق والطين، وتحيط بها المياه من كلِّ جانب، وأنَّ النهر ينقسم إلى قسمين كلاهما صالح للملاحة النهريَّة[٧٦].

وهنا يُلاحظ أنَّ سيستيني جاء من اتّجاه السماوة إلى الحسكة، وقد عرف اتصال فرعيه الرئيسين قبل للوم، وبقي في النهر إلى أن عاد إلى وضعه الطبيعيِّ بعد للوم؛ لأنَّه قال: إنَّ للوم هي جزيرة تحيطها المياه من جميع اتّجاهاتها، وهذا معناه أنَّ النهر يتفرّع شمال للوم، وأنَّه لم يرَ افتراق النهر، بل رأى نقطة اتّصال النهرين معًا جنوب للوم، وهنا أذكر بالمناسبة أنَّ نهر الرملة هذا كان يتّصل بنهر الفرات في السماوة. بل

هو الفرع الرئيس للفرات[٧٧] في حينها؛ لأنَّه لو كان منقطع الاتصال كما هو اليوم فكيف كان يصل الرحّالة والمسافرون من البصرة إلى بغداد والحلّة عبر مجراه بسفن الملاحة النهريَّة؟ وهذا الاتّصال هو ما جعل بعض الباحثين يخطئ بدراسة نهر ذياب الحاليِّ حيث قالوا: إنَّه يتّصل بفرات السماوة، إلّا أنَّه بدّل مجراه إلى المجرى الحاليِّ عام (١٨٥٣م)، إذ اتّفق الخزاعل من فرقة آل حاجّ عبد الله التي تسكن في مقاطعة طحربة في الرميثة، وآل حاجّ محسن التي تسكن في أراضي اللواح في الجانب الشرقيِّ من نهر العوجة الحاليِّ مع الشيخ فرهود آل عسّاف شيخ قبيلة بني زريج على سدّ نهر الرملة؛ بسبب قلّة أهمّيّته – بنظرهم على الأقلِّ –؛ لأنَّ بعض مياهه تعود إلى الأهوار، ولا يُنتفع منها بشيء، وكان الشيخ فرهود هو القائم على بناء السدِّ، وقد يكون السدُّ المذكور هو تجديد للسدّة التي ذكرها كارستن نيبور في رحلته عام(١٧٦٥م)، إذ أشار إلى وجود سدّة وُضعت في النهر بالقرب من مضارب بني حجيم لحصر مياه النهر[٧٨].

٢. الشطُّ الأعمى أو النهر الأعمى:

يبدو لي أنَّ هذه التسمية لها علاقة بكمّيَّة الترسّبات الرمليَّة في عميق النهر، فكلمة الأعمى تعني عند عامَّة الناس في هذه المناطق أنَّه اندرس، وأتت عليّه الرمال؛ لذا فهي أحدث التسميات، فقد تكون أُطلقت بعد موت النهر بمدّة غير محدّدة، كذلك هي لا تُطلق على نهر آخر غير نهر ذياب، بل على فرع واحد منه حصرًا، وهو فرع الرملة الذي سبق ذكره[٧٩].

٣. نهر الرميليّ:

وهو الفرع الثاني من فروع نهر ذياب حيث يتفرّع من أمام أسوار مدينة لملوم، ويجري في جهتها الشرقيَّة، ويلتقي مع نهر الرملة بمنطقة (الحوطة) فيكوّنان نهر

الفرات الرئيس، بعد أن يقطع نهر الرميليِّ مسافة تُقدّر بـ(٤٠ كم)[٨٠]، وهو صالح للملاحة أيضًا[٨١]، ولا أدلّ على ذلك من تسميته (أبو سفن).

٤. أبو سفن:

وهو اسم من أسماء فرع الرميليِّ، أُطلق عليّه؛ لكثرة مرور السفن فيه[٨٢]، ولهذا الاسم علاقة بالمعنى باسم نهر السبل الذي ذكرناه؛ لأنَّه سُمّي بهذا الاسم كما قلنا؛ لكثرة مرور السابلة فيه - وهي السفن -، وهذان الاسمان يدلّان على أهمّيَّة هذه الأنهار من ناحية الملاحة، إذ جابت هذه الأنهار العشرات من سفن النقل النهريِّ، ممَّا يشير إلى ازدهار المنطقة بشكل عامٍّ في ذلك الزمن.

٥. نهر العوجة:

وهو النهر الحاليُّ لمدينة الحمزة الشرقيِّ، الذي أخذ مجرى نهر الرميليِّ أو أبو سفن كما قلنا سابقًا عن طريق غلق نهر الرملة، وقد ذكره غير واحد من المؤرّخين تحت هذا الاسم[٨٣]. ولا نعلم بالضبط سبب تسمية النهر الجديد بهذا الاسم، علمًا أنَّ له أسماء أسبق منه.

الخاتمة

يمكن أن نخلص في بحثنا هذا إلى نتائج يمكن إيجازها بنقاط عدّة:

١. يضع المؤرّخون الذين درسوا هذا النهر سنة (١٦٨٨م) تاريخًا لميلاده، إذ حفر هذا النهر رجل اسمه ذياب، يُعتقد أنَّه من قبيلة الأكرع، ويذكر بعضهم أنَّه ظهر فجأة، إذ لم يكن موجودًا - في رأيهم - قبل هذه السنة، وأنَّ استفحال أمره كان بعد فيضان سنة (١٧٠٠م)، عندما تحوّل نهر الرمّاحيَّة إلى مجرى نهر ذياب في هذه السنة، وبقي نهر الرمّاحيَّة شبه مندرس.

٢. أهمل المؤرّخون تاريخ النهر البابليِّ في طوره القديم، وكان الأولى دراستهم لنهر ذياب علمًا أنَّه النهر نفسه، كذلك أهملوا فروعه القديمة التي كانت تتّصل به في عصور سحيقة، واندرست عبر الزمن؛ بسبب كثرة الإرسابات والإهمال، والظاهر أنَّ المؤرّخين لم يعتقدوا أنَّ هذه الأفرع قديمة.

٣. جعل المؤرّخون فاصلًا زمنيًّا بين سنة حفر النهر المُشار إليها وتاريخ مدينتي الحسكة وملوم، وحاولوا الإجابة عن ريِّ المدينتين في هذا الفاصل الزمنيِّ باعتقادات غير مبنيَّة على أدلّة واقعيَّة، فكانت الأدلّة التي طرحوها لا تصمد أمام النقد بحسب رأينا.

٤. لا يمكن دراسة نهر ذياب بمعزل عن بعض النقاط المفصليَّة التي كان لها دور كبير في تاريخ المنطقة، كإهمال دراسة النهر البابليِّ من جهة، ومحاولة تغيير مسار النهر وغيرها، بل ينبغي النظر إلى هذه النقاط بدقّة؛ لكونها مهمّة.

٥. إنَّ الجذر الأوّل لتاريخ هذا النهر هو النهر البابليُّ المُسمّى اراختو، إذ يمثّل الامتداد

الحقيقيَّ لهذا النهر، أمَّا نهر سورا فهو الوصلة التاريخيَّة لهذا النهر في أواخر العصر الساسانيِّ والعصور الإسلاميَّة اللاحقة، لتواصل امتداد المدن التاريخيَّة على ضفّتيه في موقعه هذا، ولذكره في المصادر التاريخيَّة في مكانه بأسماء مختلفة.

٦. إنَّ الأسماء المختلفة لهذا النهر هي التي قامت بتضليل الباحثين والمؤرّخين، إذ أخفت عليّهم صفحات مهمّة من تاريخه، إذ اشتبهوا باندراسه لفترات طويلة من الزمن إلّا أنَّه غير مندرس.

٧. إنَّ أسماء هذا النهر كثيرة إلى حدٍّ لا بأس به، وهي – بصرف النظر عن الأسماء المناطقيَّة – ينبغي أن تُرتّب بالشكل الآتي: اراختو وهو أوّل الأسماء الواصلة لنا في المصادر التاريخيَّة والآثاريَّة، إذ يعود للعصر البابليِّ القديم، ونهر سورا، ويأتي بالمرتبة الثانية من تاريخه؛ لأنَّه يمثّل أواخر العصر الساسانيِّ والعصور الإسلاميَّة الأُخرى، ثُمَّ نهر ذياب الذي أُطلق عليّه لسبب غير محدّد عندنا، ونهر الجارور؛ استلالًا من حالة الجرِّ بمعنى السحب، وهو اشتقاق مفردة بطريقة عامّيَّة، أو لكونه طريقًا جرّارًا، ونهر السبل؛ لكثرة مرور السابلة فيه أي السفن، أمّا أسماء تفرّعاته فالفرع الغربيُّ منه هو نهر الرملة، وربّما تكون هذه التسمية أُطلقت عليّه؛ لكثرة ارساباته، وهو نفسه الأعمى نسبة لانقطاع الماء عنه، وربّما لكثرة تراكم الارسابات كما قلنا، والفرع الشرقيُّ هو الرميليُّ، وسبب هذه التسمية مجهول عندنا، إلّا أنَّه قد يكون للمقابلة مع تسمية نهر الرملة، وهذا احتمال لا أكثر، وأبو سفن؛ لمرور سفن الملاحة النهريَّة فيه بكثرة، ونهر العوجة وهو من الأسماء المجهولة أسبابها عندنا حتّى الآن.

الملاحق

ملحق رقم (١)

مقطع من خريطة يعود تاريخها للمدّة بين عام ١٨٦٠-١٨٦٥م

surveys.f ancient Babylon, made by order of the government of india

ملحق رقم (٢)

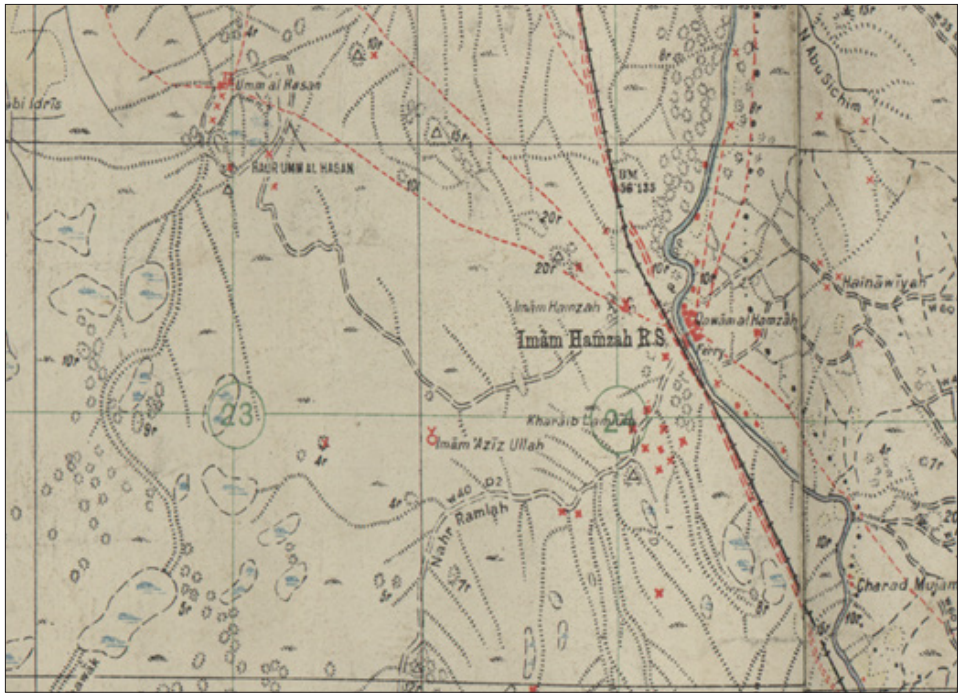

مقطع من خريطة يعود تاريخها للعام ١٩٢١م

الهوامش

١. يمكن ملاحظة ذلك جليًّا عن طريق تتبّع الرحلات نفسها، أو المصادر التي أوضحت أماكن مرور هؤلاء السيّاح، ينظر: الميّاليّ، شذرات وسوانح: ١/ ١٤.

٢. العطيَّة، تاريخ الديوانيَّة قديمًا وحديثًا: ١٤.

٣. الميَّالي، شذرات وسوانح: ١/ ٥٥.

٤. العطيَّة، تاريخ الديوانيَّة قديمًا وحديثًا: ١٤ (نقلًا عن مجلّة لغة العرب السنة الثالثة ٤٦٥).

٥. الساعديّ، بحوث عن العراق وعشائره: ١٣٤ – ١٣٥.

٦. المصدر نفسه: ١٣٢.

٧. كارستن، رحلة إلى العراق: ٤٥.

٨. الساعديّ، بحوث عن العراق وعشائره: ١٣١.

٩. المصدر نفسه: ١٣٤، ١٣٥.

١٠. المنصوريّ، الديوانيَّة في العهد العثمانيّ الأخير: ٢٥، ٢٦.

١١. ينظر الملحق رقم (١).

١٢. ينظر: الملحق رقم (١).

١٣. الساعديّ، بحوث عن العراق وعشائره: ١٤٠.

١٤. الميّاليّ، شذرات وسوانح: ٥٥، لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ١٤.

١٥. الميّاليّ، سور مدينة الديوانيَّة القديم: ٢٩٩، الميّاليّ، مدينة الحمزة الشرقيّ: ٧٥، ٧٦.

١٦. الميّاليّ، مدينة الحمزة الشرقيّ: ٧٥، ٧٦.

١٧. العطيّة، تاريخ الديوانيَّة قديمًا وحديثًا: ١٥

١٨. سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين: ٢/ ٦٣

١٩. المصدر نفسه

٢٠. الميّاليّ، مدينة الحمزة الشرقيّ: ٧٧

٢١. خريطة كادسترو قطعة (٧) مقاطعة (٨) عزيز الله وأم الحصر وموقعه إلى الغرب من مرقد الحمزة إلى الشمال الغربيِّ من مرقد عزيز الله وهذه الخريطة في تشرين الثاني لسنة ١٩٤٨ م، رقم القيد ١٨١٥٠ .

٢٢. ينظر الملحق (٢).

٢٣. ينظر الملحق (٢).

٢٤. الميّاليّ، مدينة الحمزة الشرقيّ: ٧٧.

٢٥. زيارتي الميدانيَّة لموقع نهر الرملة، ونهر الشوّاك، والتلال الآثاريَّة على جانبيهما بمعيَّة الدكتور رجوان الميّاليّ، والدكتور صلاح الجبوريّ، والسيّدين محمّد الخويلديّ، وسيف الجبوريّ، وآخرين عام ٢٠١٩، حيث تتبعنا آثار الأنهار المذكورة .

٢٦. سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين: ٢/ ٦٣، الميّاليّ، وليد سعدي محمّد، الزراعة في عصر آيسن - لارسا (أطروحة دكتوراه): ٣٤ .

٢٧. الغزاليّ، أثر المتغيّرات الجغرافيَّة والتاريخيَّة (بحث): ١١٩ .

٢٨. الحسينيّ، مدينة مرد وآلهتها التي عبدت فيها (بحث): ١٨٥ .

٢٩. سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين: ٢/ ١٧١ .

٣٠. آريانس، أيام الإسكندر الكبير في العراق: ٦٠ .

٣١. الغزاليّ، أثر المتغيرات الجغرافيَّة والتاريخيَّة (بحث): ١٢٠ .

٣٢. ذكره الباحث السيّد فيصل الميّاليُّ في عام ٦٢٩م المقابل للسنة السابعة للهجرة، ينظر: الميّاليّ، مدينة الحمزة الشرقيّ: ٥٥.

٣٣. سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين: ٢/ ٢٠٣ .

٣٤. المصدر نفسه: ٢/ ٢٠٤.

٣٥. المصدر نفسه: ٢/ ٢٣٠.

٣٦. المصدر نفسه .

٣٧. سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق: ١٨٨، ١٨٩

٣٨. سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق: ١٨٩، التطيليّ، بنيامين بن يونة: ١٤٧

٣٩. سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق:١٨٩

٤٠. كي، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقيَّة:٩٧

٤١. سهراب، كتاب عجائب الأقاليم السبعة: ١٢٤

٤٢. كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقيّة: ٩٧

٤٣. المصدر نفسه:٩٧

٤٤. سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق: ١٦٢

٤٥. سهراب، كتاب عجائب الأقاليم السبعة: ١٢٥

٤٦. كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقيّة: ١٠٠

٤٧. سوسة، العراق في الخوارط القديمة: خارطة رقم ٣٠

٤٨. المصدر نفسه: خارطة رقم٢٧، ٢٨.

٤٩. المصدر نفسه: خارطة رقم٣٢، ٣٤.

٥٠. المصدر نفسه: خارطة رقم١٢، ١٤.

٥١. المصدر نفسه: خارطة رقم ٢٣

٥٢. المصدر نفسه: خارطة رقم ٢٢

٥٣. المصدر نفسه: خارطة رقم ١٧، ١٨

٥٤. العطية، تاريخ الديوانيَّة قديمًا وحديثًا: ١٥

٥٥. الساعديّ، بحوث عن العراق وعشائره:١٤١ وما بعدها .

٥٦. سيستيني، رحلة من إسطنبول إلى البصرة: ٩٦

٥٧. الميّاليّ، شذرات وسوانح: ٩١

٥٨. الميّاليّ، مدينة الحمزة الشرقيّ: ٢٦٧

٥٩. المصدر نفسه: ٢٦٨

٦٠. الريشاويّ، إمارة الخزاعل في العراق (أطروحة دكتوراه): ١٣، ١٤.

٦١. المنصوريّ، الديوانيَّة في العهد العثمانيّ: ٢٦

٦٢. سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين: ٢/ ٦٣

٦٣. الحسينيّ، مدينة مرد وآلهتها التي عبدت فيها (بحث): ١٨٥

٦٤. عجاج، النيل ومنطقتها (رسالة ماجستير): ٩

٦٥. الميّاليّ، الزراعة في عصر آيسن: ٢٢٧

٦٦. كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقيَّة: ٩٧

٦٧. الساعديّ، بحوث عن العراق وعشائره: ١٣٢

٦٨. العطيّة، تاريخ الديوانيَّة قديمًا وحديثًا: ١٤

٦٩. الشبيبيّ، مجلّة لغة العرب (بحث): ٤٦٥

٧٠. الريشاويّ، إمارة الخزاعل في العراق (أطروحة دكتوراه): ١٣، ١٤

٧١. العطيّة، تاريخ الديوانيَّة قديمًا وحديثًا: ١٥

٧٢. الميّاليّ، مدينة الحمزة الشرقيّ: ١١٧

٧٣. الغرّاويّ، اللب اللباب: ٤٨

٧٤. الميّاليّ، مدينة الحمزة الشرقيّ: ١١٣ وما بعدها

٧٥. المصدر نفسه: ١١٧

٧٦. سيستيني، رحلة من إسطنبول إلى البصرة: ٩٦

٧٧. الميّاليّ، شذرات وسوانح: ٨٩

٧٨. المصدر نفسه: ٩٠

٧٩. المصدر نفسه: ٨٩

٨٠. الميّاليّ، مدينة الحمزة الشرقيّ: ١١٧، ١١٨

٨١. سيستيني، رحلة من إسطنبول إلى البصرة: ٩٦

٨٢. الميّاليّ، مدينة الحمزة الشرقيّ: ١١٧، ١١٨

٨٣. المصدر نفسه: ١٢٤، ١٣٠، ٢٦٧.

قائمة المصادر والمراجع

١. آريانس، فلافيوس، أيام الإسكندر الكبير في العراق، ترجمة، فؤاد جميل، دار الورّاق- بغداد ٢٠٠٧ م .

٢. التطيلي، بنيامين بن يونة، رحلة بنيامين التطيلي .

٣. الساعديّ، الشيخ حمود، بحوث عن العراق وعشائره، دار الأندلس، النجف الأشرف، ١٩٩١ .

٤. سهراب، كتاب عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، ط١، فينا، ١٩٢٩م.

٥. سوسة، د. أحمد، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ط١، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر، ٢٠٠١.

٦. سوسة، د. أحمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الريّ الزراعيّة والمكتشفات الآثاريّة والمصادر التاريخيَّة، ج٢

٧. سوسة، د. أحمد، العراق في الخوارط القديمة، مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٥٩م.

٨. سيستيني، رحلة من إسطنبول إلى البصرة سنة ١٧٨١، ترجمها عن الفرنسيَّة الأب د. بطرس حدّاد.

٩. العطيّة، الحاجّ ودّاي، تاريخ الديوانيَّة قديمًا وحديثًا، منشورات المكتبة الحيدريَّة .

١٠. الغرّاويّ، الشيخ محمّد رضا، اللبّ اللباب في غريب اللغة والحديث والكتاب، تحقيق السيّد أحمد الحسينيّ، ط١، مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ١٩٦٨م

١١. كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقيَّة، نقله إلى العربيَّة: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٤م

١٢. لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخيّاط، ط٦، ١٩٨٥م.

١٣. المنصوريّ، د. سامي ناظم، الديوانيَّة في العهد العثمانيّ الأخير ١٨٥١-١٩١٧، ط١-٢٠١٢ / دار المدينة الفاضلة .

١٤. الميّاليّ، السيّد فيصل، شذرات وسوانح عن السياح الذين مرّوا بسنجق (لواء) الرمّاحيَّة وبلداته الثلاث (للموم والحسكة والديوانية)، ط١، ج١، شركة المارد، النجف الأشرف.

١٥. الميّاليّ، السيّد فيصل، مدينة الحمزة الشرقيّ عبر التاريخ (القول المعلوم في تاريخ حمزة للموم) تحقيق وتعليّق الميّاليّ د. رجوان فيصل، دار قناديل للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م.

الرسائل والأطاريح

١. الريشاويّ، متعب خلف، إمارة الخزاعل في العراق نشأتها وعلاقاتها المحلّيّة والإقليميَّة ١٠٥٠ - ١٢٨١هـ / ١٦٤٠- ١٨٦٤م، أطروحة دكتوراه، جامعة القادسيَّة، ٢٠٠٧م.

٢. عجاج، – عامر، النيل ومنطقتها دراسة في الأحوال الجغرافيَّة والإداريَّة والفكريَّة حتّى نهاية القرن السابع الهجريّ، رسالة ماجستير، جامعة بابل، ٢٠٠٤.

٣. الميّاليّ، وليد سعدي محمّد، الزراعة في عصر آيسن – لارسا في ضوء النصوص المنشورة وغير المنشورة، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد كلّيَّة الآداب، قسم الآثار ٢٠٢٠م.

الدوريات

١. الحسينيّ، عبّاس، مدينة مرد وآلهتها التي عبدت فيها، مجلّة القادسيَّة في الآداب والعلوم التربويّة، ع ١، مج٨، ٢٠٠٩ .

٢. الشبيبيّ، محمّد رضا، مجلّة لغة العرب، السنة الثالثة .

٣. الغزاليّ، د. جاسم شعلان، أثر المتغيرات الجغرافيَّة والتاريخيَّة في نشأة وتوزيع مراكز الاستيطان في إقليم بابل، مجلّة العلوم الإنسانيَّة، كلّيَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة، بابل.

٤. الميّاليّ، د. رجوان، سور مدينة الديوانيَّة القديم دراسة آثاريّة، مجلّة القادسيَّة للعلوم الإنسانيَّة، مج ١٦،ع١،٢٠١٣م.

مصادر أخرى

١. خارطة كادستر و قطعة (٧) مقاطعة (٨) عزيز الله وأُمّ الحصر وموقعه إلى الغرب من مرقد الحمزة إلى الشمال الغربيّ من مرقد عزيز الله وهذه الخارطة

في تشرين الثاني لسنة ١٩٤٨م، رقم القيد ١٨١٥٠ .

٢. زيارتي الميدانيَّة لموقع نهر الرملة، ونهر الشوّاك، والتلال الآثاريَّة على جانبيهما بمعيَّة الدكتور رجوان الميّاليّ، والدكتور صلاح الجبوريّ، والسيّدين محمّد الخويلديّ، وسيف الجبوريّ، وآخرين عام ٢٠١٩، حيث تتبّعنا آثار الأنهار المذكورة.

3. surveys f. ancient Babylon, made by order of the government of india.

الملاحق

١. الملحق خارطة رقم(١).

٢. الملحق خارطة رقم(٢).